المصدر : الشرق الاوسط

التاريخ: ١٠ شعبان ١٤١٢هـ

آفاق الصراع الدولي
من أجل آسيا الإسلامية (١)

بقلم

سمير عطا الله

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

سليمان ديميريل عند جورج بوش. والزعيم التركي، على طريقة الاتراك التعاطي في شؤون الشرق الاوسط، لا يقول ماذا يبحثان حقاً. لكن البيت بض، على طريقته في احالة كل شيء على الناطقين باسمه، يقول ان ادثات تتناول العلاقة مع الجمهوريات الاسلامية (السوفياتية سابقا) في

ويضيف: ان واشنطن تتمنى على الجمهوريات احتذاء المثال التركي، المنفتح على العالم والاقتصاد الحر، بدلا من الوقوع في الاغراءات الايرانية الكثيرة هذه الايام!

تركيا، دولة سعيدة الحظ!

امس، كان الغرب، والولايات المتحدة خصوصا، في حاجة الى ارضها ودعمها وسياساتها، من اجل مواجهة المد الشيوعي في دولة سوفياتية مترامية الاطراف وذات قوة عسكرية مدمرة. وحين سقطت الدولة السوفياتية قال كثيرون ان جزءاً من الدور التركي قد سقط.

حقاً، انهم تسرعوا.

الدور التركي اليوم، في اتجاه الغرب، في اتجاه اوروبا المجاورة، في اتجاه الجوار العربي القديم، في اتجاه الجوار الايراني القديم، في اتجاه الجوار الآسيوي الاسلامي الذي منه جاء الاتراك الى ... تركيا، هذا الدور هو شيء نادر في عالم العلاقات الدولية، والاستراتيجيات، لا موقع آخر شبيهاً بموقع تركيا في هذا العالم!

والى الامس، أي حتى وقوع الحرب من اجل الكويت، وبرغم عشر سنوات على حرب الخليج الاولى، كانت تركيا تحاول أن تعزل نفسها عن العالم العربي ومشاكله وتعقيداته رغم انها أمضت فيه خمسة قرون صاخبة. او بالاحرى لأنها امضت خمسة قرون صاخبة! ونسيت تركيا نصفها الآسيوي نسياناً كاملاً وراحت تعيش بنصفها الاوروبي: عمالها يطلبون الرزق في مصانع المانيا، فيما العالم العربي في فورة اقتصادية نادرة. وسياسيوها يطلبون الانضمام الى السوق الاوروبية المشتركة بينما مياهها تصب في السهول العربية الكبرى. ومؤرخوها يفتحون المتاحف امام الزوار القادمين عبر الدردنيل من الجانب الاوروبي، مع ان نصف تاريخها مكتوب بالعربية ونصف التاريخ العربي مكتوب بالتركية.

لكن تركيا كانت تفضل، والعالم العربي في مخاض لا ينتهي، ان تظل بعيدة عن كل شيء. وفي الخمسينات رأت نفسها تعود، او تعاد قسراً الى دائرة الحملات والحملات المضادة في المنطقة، فما لبثت ان اغلقت دونها بوابات الحرب ومضت، تاركة فوق القناطر جثثا سياسية معلقة بحبال..

حلف بغداد!

كانت السياسة، او «الفلسفة» التركية، بسيطة جدا: لا نتدخل في شؤون العرب، لكي لا يتدخلوا في شؤوننا.

وقد وقف بعض العالم العربي ضدها في المسألة القبرصية لكنها لم تبذل جهداً واضحاً للبحث عن تأييدهم. وفي مرحلة من المراحل سعت اليونان، عدوتها التقليدية، الى الانفتاح الكلي على العالم العربي، وبلا تحفظ، ودفعت ثمن ذلك انتقال الصراعات العربية الى شوارع اثينا، فيما فضلت اسطنبول ان تبقى بعيدة عن مغريات الاقتصاد ومفاسد الصراع معاً.

كل هذا الانعزال او الاعتزال او العزلة التركية انتهت مع رجل يدعى تورغوت اوزال. لكن، ايضا، بالكثير من التحفظ، والكثير من الكوابح. ومع سقوط الشاه والاندفاع الايراني في اتجاه العالم العربي بكل الوسائل، بدا

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وكأن تركيا حرصت على الا تبدو في سباق على ود العرب.

وكانت حرب الخليج الاولى هي الامتحان الكثير الدقة والكثير الحساسية والكثير الاغراء: لم تكن هناك فرصة اكثر تلقائية او عفوية او تبريراً لدخول تركيا الى حلبة الصراع. لكنها لم تفعل.

غيرت حرب الخليج الثانية، الحرب من اجل الكويت، هذه المعادلة القائمة منذ الحرب العالمية الثانية. هنا، لم تعد تركيا مجرد دولة تنشد الحياد في عالم عاصف ومتحول. بل رأت في الغزو العراقي للكويت هذه المرة، تغييراً جوهرياً في ميزان القوى يطالها مباشرة. فالمحاولة العراقية للاستيلاء على ثروات الكويت، كانت بالنسبة الى انقرة، كما بالنسبة الى غيرها، مجرد عمل فاضح لإقامة سيطرة اقليمية من نوع جديد: هذه المرة لم يكن العراق يواجه ايران، بدعوى التدخل في شؤونه الداخلية، بل كان يغير على دولة ضعيفة بشرياً وعسكرياً، قوية مالياً، ويغير بذلك الميزان الذي لم يتغير نتيجة للصراع مع ايران والذي استمر عشر سنوات. وهكذا وجدت تركيا نفسها مدعوة، للمرة الاولى منذ خروجها كدولة كبرى من العالم العربي، الى اتخاذ موقف من موقفين لا ثالث لهما: إما ان تنضم الى التحالف الدولي الذي قرر استعادة الكويت واعادة التوازن، او ان تبقى على الحياد، وهو امر مستحيل عملياً لان النفط العراقي يصب في اراضيها والمياه التركية تصب في اراضيه، ولأن السياسة التركية القائمة على الحياد تجاه العرب وبينهم، تقوم في الوقت نفسه على التعاون مع الغرب، وخصوصاً الولايات المتحدة.

كذلك، كان هناك طبعاً، الموقف او الالتزام الأدبي.

فالحقيقة ان تركيا البعيدة عن بقع التطرف والمشاورات والنزاعات في العالم العربي، كانت في الوقت نفسه على علاقة سوية ومتوازنة مع الدول العربية البعيدة عن مناخات الاستقطاب والتجاذب. وفي اللحظة الحاسمة كان لا بد لها من الوقوف الى جانب هذا الفريق العربي الذي لم تعرف في علاقاتها معه سوى تعاون مثمر وخال من اي خلل سياسي. وعلى سبيل المثال كانت العلاقة نموذجية بين السعودية وتركيا خلال عقود طويلة. ومع

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وصول القوات العراقية الى حدود المنطقة الشرقية (وهي طبعا في الطريق الى فلسطين) لم يعد ممكنا لأنقرة ان تقف على الحياد وهي توازن بين علاقة خالية من أي شوائب طوال نصف قرن وعلاقة اخرى قائمة على الحذر منذ نصف قرن ايضا.

ثم، اي حياد يمكن ان يظل سالماً وتركيا تشكل، مع السعودية والاردن، المدخل الاساسي الى أي حظر اقتصادي يفرض على العراق؟

الواقع انه فيما كان السيد سليمان ديميريل يدخل الى البيت الابيض امس كانت الصحف الاميركية لا تزال تنتقد «الثقوب» التي تخرق الحظر على الحدود التركية (اضافة، طبعا، الى ثقوب الحدود الايرانية). فقد كانت تركيا تشكل دائما نقطة تصدير مهمة الى العراق كما كانت تشكل، ولا تزال، محطة «ترانزيت» مهمة للبضائع المرسلة الى بغداد. وكان هناك ايضا، حتى الحرب، خطا الانابيب النفطيين اللذين يمتدان في الاراضي التركية ويشكلان بالنسبة الى العراق، شريان تصدير النفط الاساسي.

كان هناك ايضا ما هو أهم من ذلك كله!

ان موقف تركيا في هذا الموضوع لن يشكل فقط موقفا من ماضي علاقاتها مع العرب، بل سوف يرسم ويحدد، الى درجة قصوى، مستقبل هذه العلاقات. لذلك، كان عليها ان تقرر.

وان تفعل ذلك بسرعة!

وبما ان تركيا دولة سعيدة الحظ في هذا الموقع الجغرافي البالغ الدقة، فقد قدر لها ان تدخل الحرب من دون ان تدخلها، وان تساهم فيها من دون ان تحرك جندياً واحداً، وان تلعب دوراً اساسياً في استراتيجية التحالف من دون ان تطلق رصاصة واحدة.

لم تكن انقرة، في هذا الموقف الدقيق، تتطلع فقط الى الآثار المترتبة على سياستها العربية، بل كانت ايضا تتطلع الى تحالفاتها الاوروبية والاميركية والى سياسة قديمة وبعيدة المدى جعلت منها مفصلا اساسيا في استراتيجية الحرب: وبعدما كانت مضائق الدردنيل، حتى الحرب العالمية الثانية، هي المدخل والمخرج الاساسي الى حروب اوروبا والشرق الاوسط، اصبحت منذ ذلك التاريخ جزءاً هادئاً مهادناً من سلامة العالم.

هكذا تطور الموقف التركي مع تطورات الازمة، ثم الحرب في الخليج، من مواقف مبدئية حذرة منطلقها ان الغزو هو قضية بين دولتين عربيتين وان الحل الديبلوماسي العربي لا يزال ممكناً، الى موقف واضح ينطلق من تعذر الحل السياسي في وجه الاصرار على خوض «المنازلة الكبرى»!

ففي بادئ الأمر خيل الى انقرة، كما خيل الى عواصم عالمية كثيرة، ان المسألة ليست اكثر من مناورة عسكرية من اجل الحصول على ثمن سياسي ومالي باهظ. ولذلك اكتفت بالاعراب عن «اسفها لاحتلال الكويت الذي يشكل تهديداً للمحافظة على الصداقات في المنطقة».

وسرعان ما وجدت الحل، مع تأزم الموقف، في قرارات مجلس الامن التي راحت تتالى. ومع حلول السادس من اغسطس وصدور القرار ٦٦١ الذي يطالب بانسحاب عراقي كلي غير مشروط ويعلن الحظر الاقتصادي على بغداد اعتباراً من ذلك التاريخ، وجدت تركيا ذريعتها الدولية الشرعية لقطع العلاقة مع العراق واغلاق انابيب النفط من دون ان يبدو ذلك عملاً فردياً في علاقة ثنائية، او اعلان حرب من جانب واحد، وهو ما يفسر عادة اغلاق الانابيب بين بلدين جارين كما يقول وزير الخارجية البريطاني السابق الدكتور ديفيد اوين.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية